محمد عدنان کاکوروی

العقيدة السنية

شرح العقيدة الحسنة

للشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي
مع الاستفادة من مؤلفات الشيخ ولي الله الدهلوي
والإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من المؤلفين في هذا الموضوع
وشرائح العقائد في عرض شامل وتنسيق جديد

بقلم:
فضيلة الشيخ محمد أويس الندوي
شيخ التفسير السابق بدار العلوم لندوة العلماء
وصاحب التفسير القيم

ملتزم الطبع والنشر
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣: ندوة العلماء، لكهنؤ ١٩٨٩ء

١٤٣٣هـ ـــــــــ ٢٠١٢ء

Rs. 20/-

Printed at : Mashhud Enterpries, lko.
Mobile : 9839133588, 9235794786

مُقدِّمة

بقلم: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء لكهنؤ الهند سابقاً

إن أجل علم أخذ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، معرفة الله تعالى وعلم ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء عليهم السلام، إذ هو علم ليست له وسائل وآلات، ومعلومات أولية وتجارب عند البشر، ولا يتناوله القياس ولا يفيد فيه الذكاء والفطنة لفقدان أساس القياس، وتعالى الله تعالى عن الأشباه والنظائر وسموه وتقدسه وتنزهه عن التشبه والتمثل، ولبعده عن كل ما عرفه البشر وألفه وجربه في عالم الحس والمادة، لأنه ليس حلبة تجري فيها جياد القول وتتسابق فيها عتاق العلم والتجربة.

وكان أجل علم تتوقف عليه سعادة البشر إذ هو الأساس للعقائد والأعمال والأخلاق والمدنية، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويفك لغزة الكون ويكشف عن سر الحياة، وبه يعين الإنسان مركزه في هذا العالم، وينظم علاقاته واتصالاته ببني جنسه، ويضع منهاج حياته ويحدد مخاياته في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين.

لذلك عظم الاعتناء به في كل أمة وجيل، وفي كل عصر وطبقة، وحرص عليه وأولع به كل جاد مخلص ناصح لنفسه، مشفق على حياته ومصيره، لأن جهله- أو تجاهله- يؤدي إلى الشقاء الذي ليس بعده شقاء، ووقوع في الهاوية التي ليس لها قرار.

وكان الناس في ذلك فريقين: فريق اعتمد في ذلك على الأنبياء والرسل وعلومهم، صلى الله عليهم- الذين أكرمهم الله بالنبوة وخصهم بمعرفته وتكليمه ورسالاته، وجعلهم واسطة بين الحق والخلق في معرفة ذاته وصفاته وطرق مرضاته، وأفردهم باليقين الذي ليس فوقه يقين، ونور ليس بعده نور، فقال: (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) وقال قائلهم وقد نازعه قوم في ذات الله وصفاته في غير علم يملكونه أو نور يحملونه: (أتحاجوني في الله وقد هدان) ثم أضافوا إلى ذلك التأمل في الكون والتفكر في خلق السماوات والأرض، والنظر في آيات الله، وتدبر كتابه الحكيم، والعمل الصالح والتقوى، وتزكية وتهذيب الخلق، وتصفية القلب على منهاج الأنبياء عليهم السلام، واستعمال عقولهم ومواهبهم، والنظر في العلوم الكونية والعقلية- بحرية واستقلال فكر- فرأوا أن بعضها يصدق بعضاً فازدادوا يقيناً إلى يقين (وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً).

وفريق اعتمد في ذلك على ذكائه وعلمه وتجاربه ومواهبه، وأطلق عنان العقل وأركض جواد القياس، وتناول ذات الله وصفاته بالدراسة والبحث، والتحليل والتجزئة، كمادة كيمياوية أو قوة طبيعية أو طاقة نباتية، وقالوا: هو كذا وليس كذا، وكان قولهم ليس كذا أكثر من قولهم هوكذا، والنفي دائماً- إذا فقد اليقين وعدم النور- أسهل من الإثبات والتقرير، وجاءت نتائج

بحثهم وتقريرهم، أكثرها سلوب، والمدنية لا تقوم على السلوب، وليس ذلك شأن الأنبياء الذين يشاهدون ويسمعون ويردون عن علم وتجربة شخصية فجاءت فلسفتهم الإلهية- كما سموها- آراء متضاربة، وتخمينات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يقم عليها دليل أو برهان، ولم تؤيدها تجربة أو وجدان.

وكان في مقدمة هذا الفريق وعلى رأسه اليونان الذين عرفوا من قديم الزمان بالذكاء المفرط والقريحة الوقادة، والفلسفة العميقة والشعر البليغ والفن الرفيع، ولم يكن هذا- علم الإلهيات- مجال شئ من ذلك، ولا يتصل به بنسب قريب أو بعيد، فجاهدوا في غير جهاد، ومشوا بين شوك وقتاد و في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، ليس معهم نور يهديهم، أو دليل يرشدهم، أو تجربة سابقة تأخذهم بيدهم، أو مقدمات ومعلومات أولية يتوصلون بها إلى المجهول.

وكان ضغثًا على إبالة أنهم كانوا أصحاب وثنية عتيقة عميقة عريقة وأصحاب أساطير وخرافات تغلغلت في فلسفتهم وشعرهم وأدبهم ودياناتهم، لهم فلسفة وثنية خاصة عن الأفلاك والعقول، توارثوها جيلاً بعد جيل فجاءت فلسفتهم الإلهية مزيجًا من الفلسفة والوثنية، جامعة بين العلم والديانة- الديانة التي آمنوا بها وقلدوها- ووضعوا لآرائهم وتحكماتهم أسماء هائلة مرعبة، وكسوها لباس الفلسفة والفن القشيب المزخرف.

وقد قلدهم عامة النظار والباحثين من الأمم -غير الهند التي عرفت بفلسفاتها والوثنية الخاصة- وخضعوا لها تقليداً وإيماناً بالغيب لبراعتهم في الحساب والهندسة وبعض العلوم الطبيعية، وهذا داء البشر القديم إذا خضعوا لأحد في شئ

خضعوا له في جميع الأشياء كما قرره حجة الإسلام الغزالي في مقدمة "تهافت الفلاسفة" والعلامة ابن خلدون في مقدمته العظيمة، وأخذوا بحوثهم وآراءهم كنتائج مقررة ثابتة، وحقائق علمية لا يتطرق إليها الشك ولا ينازعها إلا جاهل أو متعصب.

ولا يستغرب ذلك عن الأمم التي أفلست في ثروتها الدينية من القديم، وضيعت الهدى والنور، ولكنه غريب من علماء المسلمين الذين أكرمهم الله بالرسالة المحمدية- على صاحبها الصلاة والسلام- والكتاب الذي "لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" فخضع كثير منهم لهذه الفلسفة، وبدأوا يبحثون فيها كعلم قائم على المسلمات والحقائق والتجارب، وسلموا كثيراً من متخيلاتهم ومفروضاتهم، وأخضع كثير منهم-حباً للإسلام تارة وضعفاً منهم أخرى- الآيات القرآنية أو أولوها تأويلا شديداً، وفسروها تفسيراً يطابق ماثبت وتقرر في الفلسفة اليونانية الإلهية.

وكان أكثر ما دهوا به وأوتوا من قبله هو "اللوازم الفاسدة" التي يجب أن ينزه عنها" واجب الوجود" ففروا من إثبات كثير من الأسماء والصفات والأفعال لأنها يلزم منها ما يختص بالحادث وما يثبت به الجسم وما يتنزه عنه "القديم" كل ذلك قياساً على الإنسان وعلى تجاربهم المحدودة، إذ لا يتصور ولم يجرب وجود هذه الصفات إلا بهذه اللوازم، وفاتهم أنها صفات إلهية يمكن وجودها بغير هذه اللوازم، وهكذا مال فريق منهم إلى نفي الصفات، وكان أحسنهم حالاً من تأولها أو فسرها تفسيراً كاد يؤدي إلى التعطيل وفاتت أو كادت تفوت حكمة الصفات.

ومشى الكثير على هذا الدرب على إختلاف نزعاتهم ومشاربهم، وتكون علم الكلام وتضخم، وكان المسلمون في حاجة

إلى من يؤسس عقيدته وتفكيره على ماثبت من الكتاب والسنة، وآمن به السلف، ويجعله الأساس، وينظر في الفلسفة وغير الفلسفة كعلم يناقش ويبحث فيه، وينكر بعضه ويؤخذ بعضه، ويستعرضه استعراضًا علميًا حراً لا تقليد فيه ولا استسلام، ولا يأخذ من مفروضات الفلاسفة اليونانيين ومقلديهم ومستلزماتهم إلا ما قام عليه الدليل ورجح في ميزان العلم، ولا ينظر إلى أرسطاطاليس وأضرابه كآلهة أو أنبياء معصومين عن الخطاء، وكان المسلمون في حاجة إلى نوابغ مستقلين في التفكير، مجتهدين متمسكين ثائرين مؤمنين، هدامين بنائين، يجمعون بين العلم الواسع العميق للكتاب والسنة، والنظر الدقيق والعلم الغزير للمناهج الكلامية والمذاهب الفلسفية، يواجهون الفلسفة وآراء الفلاسفة القدماء وجهاً لوجه، يؤمنون بالقرآن كما أنزل، ويؤمنون بالله كما وصف نفسه، من غير تحريف ولا تأويل، ويفسرون ذلك كله تفسيراً يقره العقل والمنطق، ويؤيده العلم والبرهان.

كان من هؤلاء الثائرين المؤمنين، الثائرين على الفلسفية ومفروضاتها وتهويلاتها، والمؤمنين بكتاب الله ووصف الله نفسه ظاهراً وباطناً، علماء ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(١)" لم يخل منهم عصر، وكان منهم ومن أشهرهم شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الحراني الدمشقي في القرن الثامن فقد جمع _ كما شهد به أعلام هذه الأمة ونطقت به كتبه- بين الإيمان القوي بكل ماجاء به الرسول ونطق به الكتاب، والاقتناع بعقيدة السلف الصالح، والاطلاع الواسع الذي لا يرام فوقه على ما دوّن في صحائف هذه الأمة في

(١) من لفظ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

الماضي، والعلم الدقيق العميق بفلسفة اليونان ومنطقهم، والمذاهب التي نشأت في الإسلام بتأثير الفلسفة اليونانية في قليل أو كثير، والنقد القوي الحر الجرئ، لمناهجها وبحوثها، وقد رزق تلميذاً وخليفة مشى على أثره، وشرح ما أبهمه، وجمع ما نشره، وأكمل ما بدأه، وهوالعلامة ابن القيم الجوزية.

وكان من خير من يلحق بهما ويذكر معهما شيخ الإسلام حكيم الأمة الشيخ أحمد بن عبدالرحيم المعروف بولي الله الدهلوي (م١١٧٦) صاحب "حجة الله البالغة" فقد جمع بين العقيدة السنية السلفية والفهم الدقيق للقرآن، والخبرة الواسعة بالحديث، والعلم بأسرار الشريعة، وبين الدراسة العميقة الواسعة للفلسفة اليونانية وعلوم الحكمة والتصوف علماً وعملا، ووصل إلى درجة الاجتهاد(١)وهوالذي نشر علم الحديث وروج بضاعته في الهند، ودافع عن الإمام ابن تيمية والمحدثين، وألف الكتب البديعة في مقاصد الإسلام والشريعة منقطعة النظير في مكتبة الإسلام العامرة الواسعة(٢).

وكان هؤلآء- ومن كان على شاكلتهم- أجدر الناس بشرح العقيدة الإسلامية وعرضها إذ كانوا وسطًا بين الجامدين القشوريين والجاحدين المؤولين الذين يصرفون الكلم عن مواضعه، يجمعون بين المعقول والمنقول والشريعة والحكمة، مطلعين على المناهج الكلامية، متمسكين بالكتاب والسنة وعقيدة السلف، وكانت كتبهم ومؤلفاتهم أجدر بالتدريس والاعتناء والشرح والإيضاح من كثير من الكتب التي يعني بها في مدارسنا

---

(١) قال الأمير صديق حسن خان صاحب المؤلفات الكثيرة السائرة" لوكان في العصر الأول لعد من المجتهدين الكبار.

(٢) اقرأ ترجمته الضافية في الجزء السادس لنزهة الخواطر "للعلامة السيد - عبدالحي الحسني، طبع دائرة المعارف في حيدرآباد الهند.

وجامعاتنا.

وكان كتابه "العقيدة الحسنة" متنًا وجيزاً محكماً يجمع بين الدقة والسهولة، وقد اشتملت على اللب اللباب والمهم من العقيدة وعلم التوحيد الذي لا يسع المتعلم جهله، وقد اختارته ندوة العلماء للتدريس في دارالعلوم التابعة لها، وقررته الجامعة الإسلامية في عليكره وبعض المدارس الأخرى على قلة عددها وكثرة من جهل قيمته ولم يعرف قدره.

وكان هذا الكتاب في حاجة إلى الشرح وإلى أن يضاف إليه ماقرره المؤلف وكتبه في مؤلفاته الكبيرة فجاء كالشرح، وما قرره وكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وغيرهما من المتكلمين، فيزيده إيضاحاً وإحكاماً ويكون مادة غزيرة في علم التوحيد والعقيدة الإسلامية وخير كتاب يدرس في علم الكلام، يوافق أذهان الناشئة ويلائم هذا العصر الذي انصرفت فيه النفوس عن الكتب الطويلة الغامضة المعقدة، والبحوث العقيمة المقعرة.

وكان صديقنا الجليل الشيخ محمد أويس الندوي شيخ التفسير في دار العلوم وصاحب "التفسير القيم" للامام ابن القيم من أجدر الناس وأقواهم على هذا العلمي الكبير، لأنه عاكف على مطالعة آثار هؤلآء الشيوخ الثلاثة- ابن تيمية وإبن القيم وولي الله الدهلوي رحمهم الله تعالى- من زمان، وقد تتلمذ على أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله، ومكث معه مدة من الزمان يدرس القرآن ويطالع كتب هؤلآء الشيوخ تحت إشرافه وتوجيهه، وكان رحمه الله كثير الاهتمام كبير التقدير لهؤلاء، يستفيد منهم ويقتبس من علمهم في فهم القرآن وفي علم الكلام، والمؤلف يدرس القرآن الحكيم والفوز الكبير للشيخ ولي الله

الدهلوي، و"العقيدة الحسنة" في دار العلوم منذ أعوام طوال، فكان بحكم دراسته ومطالعته واتجاهه العلمي من أجدر العلماء بالقيام بهذه الخدمة العلمية الجليلة.

وقد وفق- أطال الله بقاءه ونفع بعلمه- في هذا الشرح، فقد جمع فيه ما انتشر وانتثر في مؤلفات الشيوخ الثلاثة وتلاميذهم وشراح كتب العقائد، جمعاً دل على واسع اطلاعه وجميل ذوقه، وسلامة طبعه، فجاء هذا الكتاب الصغير على وجازته وسهولته كتاباً غنياً بالمادة، صغير الحجم كبير القيمة، مغنياً عن الأسفار الكبار، ليس لأهل المدارس عذر في ترك تقريره والإفادة منه، إلا أنه لعالم معاصر يتصل بمدرسة معاصرة ذات شهرة خاصة، وأنه ألف في هذا الزمن ليس له قدسية القديم، وما كل حديث يعاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

الحمدلله الذي كفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فقد اتصلت بعد تخرجي من دارالعلوم لندوة العلماء بسماحة الشيخ الدكتور السيد عبدالعلي الحسني رئيس ندوة العلماء بلكهنؤ[1] وكانت دراستي قاصرة على الكتب المشهورة المتداولة في أوساط التعليم بنطاق غير واسع، فتفضل على بتوجيهاته السديدة ونصائحه الغالية في مرحلة من عمري لا أكاد فيها أميز بين ما ينفعني ومالا ينفعني، وعرفني بالإمامين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونصحني بالدراسة لمؤلفاتهما ورسائلهما وفهم معانيها فأوجد بذلك في نفسي رغبة إلى الاغتراف من بحر علومهما ومعارفهما وتوقاً إلى الإستعارة بعقليتهما القوية النادرة التي تشف عنها كتبهما ومؤلفاتهما، ففعلت ذلك.

ثم أفضى بي كل ذلك إلى الاتصال بعلم آخر من أعلام الشريعة الإسلامية وهو شيخ الإسلام ولى الله الدهلوي رحمه الله تعالى، فعكفت على نتاج أفكاره وحاولت الاستنارة من شعائها،

---

(١) توفى رحمه الله تعالى في ٧ مايوسنة ١٩٦١م

فكان من نتيجة ذلك أن أحببت أن تكون رسالته على العقيدة الإسلامية موضع دراستي وتعليقي، والتزمت أن لا أشرحها إلا بما قرأت له، للشيخين حول هذا الموضوع قدر مستطاعي، فأرى من الواجب علي أن أعترف بفضل سماحة السيد الجليل الدكتور عبدالعلي (رحمه الله) في هذا الصدد، أشكر له رعايته لي وعنايته بي وأهدى إليه هذا الجهد رجاء أن يقبله مني مشكوراً.

محمد أويس الندوي

دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين)

(أما بعد- فيقول الفقير إلى رحمة الله الكريم أحمد) واسمه التاريخي عظيم الدين، ولد يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة ألف ومأة وأربع عشرة الهجرية، وتوفى سنة ألف ومأة وست وسبعين الهجرية (المدعو بولى الله ابن عبدالرحيم) المتوفى سنة ألف ومأة وإحدى وثلاثين الهجرية (أحسن الله تعالى إليهما: أشهد الله تعالى ومن حضر من الملائكة والجن والإنس، أني أعتقد).

شأن المصنفين في العقائد المختصرة

واعلم أن من شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة[1] والجماعة أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة

---

(١) قال السيد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج٢ص٦ نقلاً عن ابن السبكي: وبالجملة فهم (أى أهل السنة والجماعة) بالاستقراء ثلاث طوائف: "الأول أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية أعني الكتاب والسنة والاجماع، الثانية أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي، الثالثة أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية ومبادئهم مبادي أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية، انتهى مختصراً.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله عزوجل بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل إثباتاً لصفات الكمال، وتنزيهاً له عن أن يكون له أنداد وأمثال، إثبات بلا تمثيل وتنزيه=

والجماعة عن الكفار والمبتدعين، فيذكرون إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه تعالى يرى في الآخرة خلافاً للجهمية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خلافاً للقدرية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ولا يخلد في النار خلافاً للخوارج والمعتزلة، ويحققون القول في الإيمان ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملاً خلافاً للمرجئة، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم، وأما الإيمان مما اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر، فهذا لا بد منه، وأما دلائل هذه المسائل ففي الكتب المبسوطة الكبار(١).

إن للعالم صانعاً

(من صميم قلبي أن للعالم) أي ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع (صانعاً) معناه المركب والمهيئ،

= بلا تعطيل، كما قال تعالى (ليس كمثله شئ) وهو رد على الممثلة (وهو السميع البصير) رد على المعطلة، وهم وسط في باب أفعال الله عزوجل بين المعتزلة المكذبين بالقدر والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه، وفي باب الوعد والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار، وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالي في بعضهم الذي يقول فيه بألوهية أو نبوة أو عصمة، والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهم خيار هذه الأمة.

(الجواب الصحيح مختصراً ١: ٨)

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ١٢.

قال الله تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شئ) النمل آية ٨٨، وقد يكون الصانع الفاعل فيدخل فيه الاختراع والتركيب معاً(١).

لم يزل ولا يـــزال

(قديماً لم يزل) أي ليس لوجوده بداية (ولا يزال) أي ليس لوجوده نهاية، واسمه تعالى "القيوم" يدل على معنى الأزلية والأبدية.

إثبات واجب الوجود

(واجباً وجوده) فإن الوجود إما ممكن وإما واجب، والممكن هوالذي يقبل الوجود والعدم، وماكان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، فالممكن لا بد لوجوده من واجب فثبت وجود الواجب، قال شيخ الإسلام ابن تيميةرح: إن هذه الطريقة وإن كانت صحيحة بلا ريب لكن نتيجتها إثبات وجود واجب، وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين، ولا هو من المطالب العالية، ولا فيه إثبات الخالق ولا إثبات وجود واجب أبدع السماوات والأرض، وإنما فيه أن الوجود وجود واجب، وهذا يسلمه منكرو الصانع(٢).

ممتنعاً عدمـــه

(ممتنعاً عدمه) أى يستحيل أن يلحقه عدم لأن العدم على الواجب ممتنع، تدل عليه اسماءه تعالى "الوارث" و "الباقي" و "الدائم" و "الآخر" (وهوالكبير) قال الحليمي " الكبير المصرف

---

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٨.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ملخصاً ص ١٢.

عباده على ما يريده منهم من غير أن يروه(١). (المتعال) قال الحليمي: معناه المرتفع عن أن يجوز عليه ما يجوز على المحدثين(٢).

صفات الكمال

(متصفاً بجميع صفات (٣) الكمال، ثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له وتفصيل محامده وأن له المثل الأعلى وإثبات معاني (٤) أسمائه ونحو ذلك كله

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٥.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٥.

(٣) الصفات أخبارات مما عليه الله عزوجل في الحقيقة من التنزه والتقدس والعز والكبرياء بلسان يفهمه العامة (تفهيمات إلهية١: ٤٨) واعلم أن الصفات ضربان: صفات الذات وصفات الفعل، فعند المعتزلة ما جرى فيه النفي والإثبات فهو من صفات الفعل، كما يقال: خلق لفلان ولداً ولم يخلق لفلان، وما لا يجري فيه النفي فهو من صفات الذات كالعلم فلا يقال: لا يعلم كذا، وصفة الفعل حادثة، وأما عند الأشعري فالفرق بينهما أن ما يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الذات، فانك لو نفيت الحياة يلزم الموت، وما لا يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل، فلو نفيت الاحياء لم يلزم منه نقيضه، وعند الماتريدية أن كل ما وصف به ولا يجوز أن يوصف بضده فهو من صفات الذات كالقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل كالسخط والغضب، ويتوقف ظهور الصفات الفعلية على وجود الخلق (شرح الفقه الأكبر ص ٢٤ بأدنى تغيير واختصار).

(٤) قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام رح: وأسماؤه مندرجة في أربع كلمات هن الباقيات الصالحات: الكلمة الأولى قوله "سبحان الله" ومعناها في كلام العرب التنزيه والسلب، فهي مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته، فما كان من أسمائه سلبيًا فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب، والسلام وهو الذي سلم من كل آفة. الكلمة الثانية قوله "الحمد لله" وهي مشتملة على إثبات ضروب

دال على هذا المعني.(١) (منزهاً عن جميع سمات النقص والزوال) صفاته تعالى كمال فخلوه عنها نقص والنقص عليه محال (٢).

هو خالق لجميع المخلوقات

(وهو خالق لجميع المخلوقات) هذا الذي أخبرت به الرسل ودلت عليه العقول واتفق عليه جماهيرالعقلاء من الأولين والآخرين أن الله خالق كل شئ وأن كل ماسواه فهو مخلوق له، وكل مخلوق محدث مسبوق بالعدم (٣)والقدرية لا يجعلونه

= الكمال لذاته وصفاته فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير، فهو مندرج تحت الكلمة الثانية. فقد نفينا بقولنا "سبحان الله" كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه، وأثبتناه "بالحمد لله" كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه، ووراء ما نفيناه وأثبتناه شأن عظيم قد غاب عنا وجهلناه، فنحققه من جهة الاجمال بقولنا "الله أكبر" وهى الكلمة الثالثة بمعني أنه أجل مما نفيناه وأثبتناه، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فما كان من أسمائه متضمن المدح فوق ما عرفناه وأدركناه كالأعلى والمتعالى فهو مندرج تحت قولنا "الله اكبر" فإذا كان في الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون في الوجود من يشاكله أو يناظره، فحققنا ذلك بقولنا "لا إله إلا الله" وهى الكلمة الرابعة فإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه فما كان من أسمائه متضمنا للجميع على الإجمال كالواحد الأحد ذى الجلال والإكرام فهو مندرج تحت قولنا: "لا إله إلا الله" وإنما استحق العبودية لما وجب له من أوصاف الجلال ونعوت الكمال الذي لا يصفه الواصفون ولا يعده العادون (طبقات الشافعية للسبكي٥: ٨٦-٨٧).

(١) تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال لابن تيمية ص ٤١.
(٢) شرح المواقف ص ٢٨.
(٣) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص١٨١.

خالقاً لكل شئ ولا قادراً على كل شئ، والمتفلسفة القائلون بأنه علة فاعلية شر منهم، فإنهم لا يجعلونه خالقاً لشئ من حوادث العلة لا لحركات الأفلاك ولا غيرها من المتحركات، ولا خالقاً لما يحدث بسبب ذلك ولا قادراً على شئ، من ذلك ولا عالماً بتفاصيل ذلك، والله سبحانه وتعالى يقول: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً) الطلاق آية ١٢(١).

عالم لجميع المعلومات

(عالم لجميع المعلومات) قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك آية ١٤ وقال تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) الأنعام آية ٥٩-٦٠ وقال تعالى (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) يونس آية ٦١.

وفي قوله: "عالم لجميع المعلومات" رد على الملاحدة من المتفلسفة الذين يقولون: إنه تعالى لا يعلم الجزئيات المتغيرة، ورد على الروافض والقدرية الذين يقولون: إنه لا يعلم الشئ قبل أن يخلقه ويوجده.

قادر على جميع الممكنات

(قادر على جميع الممكنات) لا يخرج عن قدرته شئ لأن العجز عن البعض نقص وافتقار إلى مخصص، مع أن النصوص

---

(١) تفصيل الإجمال لابن تيمية ص ٧١.

القطعية نطقت بشمول القدرة فهو على كل شئ قدير، لا كما يزعم الفلاسفة أنه لا يقدر على أكثر من واحد، والنظام أنه لا يقدر على خلق الجهل والقبح، والبلخي أنه لا يقدر على مثل مقدور العبد، وعامة المعتزلة أنه لا يقدر على نفس مقدور العباد.

وذكر حفيد الماتن رحمه الله أن وجود مثله صلى الله عليه وسلم داخل تحت قدرته تعالى لعموم أدلة الباب وشمولها، وقد قال الله تعالى: (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ولا يلزم من ذلك وقوعه بالفعل في الخارج، لأن القدرة والتكوين صفتان متغايرتان عند الماتريدية، وأثر القدرة هو إمكان صدور المقدور من القادر بالنظر إلى ذاته لا وقوعه بالفعل كما أن أثر التكوين وقوع المكون بالفعل(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما أهل السنة فعندهم أن الله على كل شئ قدير وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته مثل كون الشئ الواحد موجوداً معدوماً فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مثل نفسه وأمثال ذلك(٢).

مريد لجميع الكائنات

(مريد لجميع الكائنات) واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى مريد بإرادة قائمة به وأن إرادته ليست مثل إرادة المخلوق، وفي قوله، "مريد لجميع الكائنات" رد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من يقول إنه لا إرادة له كما يقوله ممن يقول

---

(١) الانتقاد الرجيح ص-٥-٦.

(٢) منهاج السنة ملخصاً ١: ٢١٣.

من المعتزلة البغداديين، ومنهم من يقول: له إرادة أحدثها لا في محل كما يقوله البصريون منهم، والشيعة المتأخرون وافقوهم على ذلك.

حـــي

(حي) الحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً لم تحدث له الحياة بعد الموت ولا يعترضه الموت بعد الحياة(١).

سميـــع

(سميع) قال الحليمي رح في معنى السميع: إنه المدرك للأصوات التي يدركها المخلوقون بآذانهم من غير أن يكون له أذن. قال الخطابي: السميع بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل بناء المبالغة، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكوت(٢).

بصـــير

(بصير) قال الحليمي: ومعناه المدرك للأشخاص والألوان التي يدركها المخلوقون بأبصارهم من غير أن يكون له جارحة العين. وقال الخطابي: البصير هو المبصر ويقال: العالم بخفيات الأمور(٣).

لاشبــــه له

(لاشبه له) هذا رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق

---

(١) كتاب الأسماء والصفات ص ١٤.

(٢) كتاب الأسماء والصفات ص ٣٢.

(٣) كتاب الأسماء والصفات ص ٣٢و٣٣.

بالمخلوق، والمشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين أنهم لا يريدون بنفى التشبيه نفى الصفات بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وقال في روح المعاني ج١ ص ١٦١: التشبيه المشارك في الكيفية فقط. وقال الشيخ ابن تيميةرح: ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن ثم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شئ إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه، والعلم بكيفية الصفة مسبوق بالعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته(١).

ولا ضد له ولا ند

(ولا ضد له) أى ليس له ممانع ومنازع أبداً لا في البداية ولا في النهاية (ولا ند له) قال في روح المعاني ج١ص١٦١: الند مثل الشئ الذي يضاده ويخالفه في أموره وينافره ويتباعد عنه، وقيل: الند المشارك في الجوهرية.

ولا مثل له

(ولا مثل له) قال القاضي محمد بن على الشوكاني رح في مذاهب السلف(٢) هذه الكلمة دلت على نفى المماثلة في كل شئ فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة، فتقرر بذلك

---

(١) العقيدة الحموية ملخصاً ص٤٦٥ مجموعة الرسائل الكبرى.
(٢) الرسائل المنيرية٢: ٩٤.

الإثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات فيدفع به جانبا الافراط والتفريط وهما المبالغة في الإثبات المفضية إلى التجسيم والمبالغة في النفى المفضية إلى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلا هو، فإنه القائل "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (سورة الشورى آية١١) وقال في دستور العلماء ج٣ص٢٠٨-٢٠٩: المثل هو المشارك في جميع الأوصاف.

لا شريك له في وجوب الوجود

(ولا شريك له في وجوب الوجود) إذ لا يمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود إلا على ذات١واحدة (ولا في استحقاق العبادة) إن من أعظم أنواع البر أن يعتقد الإنسان بمجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده أن العبادة حق الله تعالى على عباده وأنهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى بمنزلة سائر ما يطالبه ذووالحقوق من حقوقهم(٢).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته "تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال" ولفظ ذات تأنيث ذو، وذلك لا يستعمل إلافي ماكان مضافاً إلى غيره فهم يقولون: فلان ذو علم وقدرة، ونفس ذات علم وقدرة، وحيث جاء في القرآن أو لغة العرب لفظ ذو أو لفظ ذات لم يجئ إلا مقروناً بالإضافة كقوله "فاتقوالله وأصلحو ذات بينكم" (سورة الأنفال آية١) وقوله عليم بذات الصدور" (هود آية ٥) ونحو ذلك لكن لما صار النظار يتكلمون في هذا الباب قالوا: إنه يقال إنها ذات علم وقدرة، ثم إنهم قطعوا هذا اللفظ عن الإضافة وعرفوه فقالو "الذات" انتهى ملخصاً.

(٢) حجة الله البالغة (باب الإيمان أن العبادة حق الله تعالى على عباده).

لا شريك له في الخلق والتدبير

(ولا في الخلق والتدبير) إن لله تعالى بالنسبة إلى إيجاد العالم ثلاث صفات مترتبة: إحداها الإبداع وهو إيجاد شئ لا من شئ فيخرج الشئ من كتم العدم بغير مادة، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول هذا الأمر فقال: كان الله ولم يكن شئ قبله، والثانية الخلق وهو إيجاد الشئ من شئ كما خلق آدم من التراب، والثالثة تدبير عالم المواليد ومرجعه إلى تصيير حوادثها موافقة للنظام الذي ترتضيه حكمته مفضية إلى المصلحة التي اقتضاها جوده كما أنزل من السحاب مطراً وأخرج به نبات الأرض ليأكل منه الناس والأنعام فيكون سبباً لحياتهم إلى أجل معلوم (١).

التوحيد ثلاثة أقسام

(فلا يستحق العبادة أى أقصى غاية التعظيم إلا هو) ويدل عليه قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين"(سورة الفاتحة آية ٤) اعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام توحيد الربوبية وهو أنه لا خالق ولا رازق إلا هو، وتوحيد الألوهية وهو إفراده سبحانه بالعبادة والخضوع والحب والتوحيد، وتوحيد الصفات وهو أن يصفه بما وصف به نفسه من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل(٢).

(ولا يشفي مريضاً) دل عليه قوله تعالى: "وإذا مرضت فهو يشفين" (سورة الشعراء آية ٨٠) (ولا يرزق رزقاً) لقوله تعالى:"إن الله هو الرزاق ذوالقوة المتين" (الذاريات آية٥٨)

---

(١)حجة الله البالغة (باب الإبداع والخلق والتدبير) مختصراً.

(٢) الجواب الصحيح ص ٢٨.

(ولا يكشف ضراً إلا هو) قال تعالى: "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء" (النمل آية ٦٢)

معنى كن فيكــــون

(بمعنى أن يقول لشئ كن فيكون لا بمعنى السبب العادي الظاهري كما يقال شفى الطبيب المريض ورزق الأمير الجند فهذا غيره وإن اشتبه في اللفظ) فإن التصرف بالإرادة الذي يعبر عنه بكن فيكون من الصفات المختصة بالله تعالى. قال الشيخ ولى الله في حجة الله البالغة: التأثير والتدبير والتسخير أى لفظ قلت على درجتين: بمعنى المباشرة واستعمال الجوارح والقوى، والاستعانة بالكيفيات المزاجية كالحرارة والبرودة وما أشبه ذلك مما يجد نفسه مستعدة له استعداداً قريباً أو بعيداً، وبمعنى التكوين من غير كيفية جسمانية ولا مباشرة شئ وهو قوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (سورة يس آية ٨٢) (١).

لا ظهير لــــه

(ولا ظهير له) أى لا معين له، وفيه رد للذين جعلوا السماوات معينة لله (٢).

لا يحــــل في غيره

(ولا يحل في غيره) وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من

---

(١) حجة الله البالغة باب حقيقة الشرك.
(٢) البحر المحيط٧: ٢٧٦.

غالية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حل بعلى بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية(١) وحلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام المذموم لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شئ من مخلوقاته المحدثة ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية فهذا نفي باطل(٢).

ولا يتحـــد بغيره

(ولا يتحد بغيره) وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولاً، يقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام (٣).

لا يقوم بذاته حادث

(ولا يقوم بذاته حادث) لأن ما يقوم به لا بد أن يكون من صفات الكمال فلو كان حادثاً لكان خالياً عنه في الأزل، والخلو عن صفات الكمال نقص وهو منزه عن ذلك(٤).

وصفات الأفعال كالتخليق والترزيق فإنها أمور إضافية اعتبارية حادثة عند الأشعري فتنفك عن الذات فتغايرها (٥)

---

(١) الحجج العقلية والنقلية لابن تيمية ص ٨٠.
(٢) شرح العقيدة مختصراً ص ٥٧.
(٣) الحجج العقلية والنقلية ص ٨٠.
(٤) شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ض ٦٣.
(٥) النبراس ص ٢٠٣.

وأما عند الماتريدية فصفاته الذاتية والفعلية قديمة (١) لكن يتوقف ظهور الصفات الفعلية على وجود الخلق(٢).

ليس في ذاته ولا في صفاته حدوث

(فليس في ذاته ولا في صفاته حدوث) لأنه إذا كان كماله بنفسه لا يتوقف على غيره كان الكمال له واجباً بنفسه وامتنع تخلف شئ من الكمال الممكن عنه، بل ماجاز له من الكمال وجب له، كما أقر بذلك الجمهور من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام والفلسفة وغيرهم، بل هذا ثابت في مفعولاته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (٣). أما الحدوث في الذات فممتنع لأنه تعالى واجب الوجود ولا يستقل بإحداث شئ أحد غيره فكيف يكون في ذاته حدوث؟.

إنما الحدوث في تعلق الصفات بمتعلقاتها

(وإنما الحدوث في تعلق الصفات بمتعلقاتها حتى يظهر الأفعال، وحقيقته أن التعلق أيضاً ليس بحادث ولكن الحادث هو المتعلق، فيظهر أحكام التعلق متفاوتة لتفاوت المتعلقات وهو برئ من الحدوث والتجدد من جميع الوجوه) قال علي القاري في شرح الفقه الأكبرص ٢٥: إنا نقول: التكوين قديم والمتعلق به هو المكون وهو حادث كما أن العلم قديم وبعض المعلومات حادث على أن التكوين في الأزل لم يكن ليكون العالم به في الأول بل ليكون في وقت وجوده فتكوينه باق أبداً فيتعلق وجود كل موجود بتكوينه الأزلي.

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص ١٧.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص ٢٤.

(٣) تفصيل الإجمال ص ٤٦.

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي رح: الإبداع والخلق دائمان بدوام الحق ولكن تتغير إضافات الخلق والتدبير فيقال في بعض الأمور رزق وفي بعضه نصر وفي بعضه خذل (١).

ليس بجـــوهر

(ليس بجوهر) إن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض وإنما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهري وغيره، وهذا اللفظ ليس موجودا في القرآن، ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف، وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهراً أمر اصطلاحى، وقد قيل: إنه مأخوذ من كلام الأوائل كاليونان وغيرهم فإنه يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهراً، وقد قيل: سموه بذلك لأن جوهر الشئ أصله والقائم بنفسه هو الأصل، وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهراً، وقيل: لأن لفظ الجوهر فوعل من الجهر وهو الظهور والوضوح، والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل أن يعرف ما قام به من الأعراض (٢). وقالت النصارى: إن الله تعالى جوهر، وقدماء الفلاسفة كأرسطو وأمثاله كانوا يسمونه جوهراً وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية، وقالوا: إنه ليس في الوجود شئ إلا وهو إما جوهر وإما عرض، لأن أى أمر نظرناه وجدناه إما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر وإما مفتقراً في وجوده إلى غيره لا قوام له بنفسه وهو العرض، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث فأشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره وهو الجوهر، ولما كان

---

(١) التفهيمات١: ١١١.

(٢) ملخصاً من الجواب الصحيح لابن تيمية رح ٣: ٢٠٤-٢٠٥.

الباري- تقدست أسماؤه- أشرف الموجودات إذ هو سبب سائرها أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها، ولهذا قلنا: إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، والجواب أنا إنما نمتنع من أن نسميه جوهراً لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيز ولهذا من يطلق عليه القول بأنه تعالى جوهر؟ (١).

لا عـــرض

(ولا عرض) لأن العرض محتاج إلى المحل المقوم له والواجب مستغن عن الغير، قال المصنف رحمه الله في التفهيمات ٢: ٤٢: إن الجوهرية والعرضية من بدعات هذا العالم المحسوس.

لا جـــسم

(ولا جسم) لأن الجسم مركب ومتحيز وهو أمارة الحدوث، قال الشيخ ابن تيمية رح في تفسير سورة الإخلاص ص ٤٢- ٤٣: وأحمد وأمثاله من السلف كانوا يعلمون أن هذه الألفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها إلى نفي ما أثبته الله ورسوله، ويثبتها قوم ليتوصلوا بإثباتها إلى إثبات ما نفاه الله ورسوله. فالأول طريقة الجهمية من المعتزلة، وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون أن قصدهم التنزيه ومقصودهم بذلك أن الله تعالى لا يرى في الآخرة، وأنه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خلق كلاماً في غيره، وأنه ليس له علم يقوم به ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات، والثانية طريقة هشام وأتباعه، يحكى عنهم أنهم أثبتوا

---

(١) مأخوذ من الجواب الصحيح٣: ٢٠٢ إلى آخر الفصل.

ما قد نزه الله تعالى نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات، انتهى ملخصاً. وقال الشيخ رحمه الله في منهاج السنة: والقول الثابت عن أئمة السنة المحضة كالإمام أحمد رح ودونه فلا يطلقون لفظ الجسم لا نفيا ولا إثباتاً لوجهين: أحدهما أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة، ألثاني أن معناه يدخل فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل، والذين نفوه ادخلوا فيه من التعطل والتحريف ما هو باطل (١).

لا في حيز

(ولا في حيز) لفظ المتحيز في اللغة اسم لما يتحيز إلى غيره كما قال تعالى:" ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة" (سورة الأنفال آية ١٦) وهذا لا بد أن يحيط به حيز وجودى ولا بد أن ينتقل من حيز إلى حيز، ومعلوم أن الخالق جل جلاله لا يحبط به شئ من مخلوقاته فلا يكون متحيزاً بهذا المعنى اللغوي، وأما أهل الكلام في المتحيز من هذا فإصطلاحهم فيجعلون كل جسم متحيزا والجسم عندهم مايشار اليه فتكون السماوات والأرض وما بينهما متحيزاً على إصلاحهم وإن لم يسم ذلك متحيزاً في اللغة، والحيز تارة يريدون به معنى موجوداً في اللغة، والحيز تارة يريدون به معنى موجوداً وتارة يريدون به معنى معدوماً، ويفرقون بين مسمى الحيز ومسمى المكان فيقولون: المكان أمر موجود والحيز تقدير مكان عندهم، فمجموع الأجسام ليست في شئ موجود فلا تكون في مكان وهي عندهم

---

(١) منهاج السنة١: ٢٠٤.

متحيزة، ومنهم من يناقص فيجعل الحيز تارة موجوداً وتارة معدوماً كالرازي وغيره، فمن تكلم باصطلاحهم وقال: إن الله متحيز بمعنى أحاط به شئ من الموجودات فهذا مخطئ فهو سبحانه بائن من خلقه وما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، وإذا كان الخالق بائنا عن المخلوق امتنع أن يكون الخالق في المخلوق وامتنع أن يكون متحيزاً بهذا الاعتبار، وإن أراد بالحيز أمراً عدمياً فالأمر العدمي لا شئ وهو سبحانه بائن عن خلقه فاذا سمى العدم الذي فوق العالم حيزاً، وقال: يمتنع أن يكون فوق العالم لئلا يكون متحيزاً فهذا معنى باطل لأنه ليس هناك موجود غيره حتى يكون فيه وقد علم بالعقل والشرع أنه بائن عن خلقه(١).

مسألة الجهة

(وجهة) إن المصنف أنكر الجهة في القسم الثاني من حجة الله البالغة فقال: كان الحق متعالياً عن الجهة (٢)، ولكنه أثبت الجهة في القسم الأول من حجة الله البالغة فقال: ومنها أن الشارع لم يخاطبهم إلا على ميزان العقل المودع في أصل خلقتهم قبل أن يتعاونوا دقائق الحكمة والكلام والأصول فأثبت لنفسه جهة فقال: "الرحمن على العرش استوى" (سوره طه آية٥) وقا النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة سوداء أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقال: هي مؤمنة(٣). وقال في التفهيمات: الحق الصريح الذي أدركناه بوجداننا أن الرحموت إنما يرتبط أولا بالعرش ثم بواسطته يرتبط بسائر أجزاء السماء كما قال عز

---

(١) منهاج السنة١: ٢٤٩

(٢) باب الأمور التي لا بد منها في الصلاة

(٣) باب التيسير

من قائل: "الرحمن على العرش استوى" واستفاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله على العرش، وأن من هناك ينزل القضاء، وتأويل أمثال هذه النصوص المستفيضة مما لا ينبغي أن يجترئ عليه مؤمن فوجب القول بأن للرحموت ارتباطاً خاصاً بالعرش١. وقال الشيخ ولي الله رحمه الله في المكتوبات ص ٧٢ذباً عن ابن تيمية رح: "والتحقيق أن في هذه المسألة ثلاث مقامات: أحدها البحث عما يصح إثباته للحق توقيفاً وعما لا يصح توقيفاً، والحق في هذا المقام أن الله أثبت لنفسه جهة الفوق وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه، وثانيهما أن العقل هل يجوز كون مثل هذا الكلام حقيقة أو يوجب حمله على المجاز، والحق في هذا المقام أن العقل يوجب أنه ليس على ظاهره في نفس الأمر، وثالثها أنه هل يجب تأويله أو يجوز وقفه على ظاهره من غير تعيين المراد، والحق فيه أنه لم يثبت في حديث صحيح أو ضعيف أنه يجب تأويله ولا أنه لا يجوز استعمال مثل تلك العبارات من الأمة، وإذا رجعنا إلى الوجدان فلا شك أن لله تعالى خصوصية مع العرش ليست مع غيره من مخلوقاته، ولا نجد عبارة في ذلك أفصح وأقرب من الاستواء على العرش، انتهى ملخصاً، ووجه التوفيق بين هذا الإنكار والإثبات ما قاله العلامة الأمير صديق حسن خان رح في الانتقاد الرجيح (٢) وهذا نصه:

قال الماتن رحمه الله تعالى بالفوق والاستواء في هذا المتن (أي العقيدة الحسنة) بعد ذلك، لأن الكتاب والسنة نطقت بهما ولم يقل بالجهة ههنا لأن الشرع لم يرد بذلك اللفظ خاصة،

---

(١) التفهيمات١: ١٦٠

(٢) ص ١٣.

انتهى، وقال الشيخ ابن تيمية رح في الأجوبة المصرية: وتنوع أهل السنة في اسم الجهة، وربما قال بعضهم ليس بجهة وذلك لأن هذ اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع حتى يتفقوا عليه ومعناه محتمل فمن أثبته أراد به أنه فوق العرش يعني بلا كيف، ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق، فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال (١). وقال الحافظ ابن القيم رح: والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هى أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول: إن إثبات هذا كله غير لازم، وإن وجه العسر في تفهم هذا المعنى مع نفي الجسمية هو أنه ليس في المشاهد مثال له (٢).

لا يشـــــار إليه

(لا يشار إليه بهنا وهناك) إشارة تشعر بكونه سبحانه متمكناً في مكان أو متحيزاً بحيز لأنه لا يحويه مكان، وعند النظارة من المتكلمين والفلاسفة ما يشار إليه فهو جسم، ولا ينافي ذلك ما ورد في حديث الجارية حيث قال: أين الله؟ فأشارت إلى السماء.

لا يصح عليه الحركة والانتقال

(ولا يصح عليه الحركة والانتقال والتبديل في ذاته ولافي صفاته) لأن الحركة (٣) والسكون من خواص الأجسام، والله

---

(١) القول الجلي للعلامة صفى الدين البخاري.

(٢) ملخصاً من الصواعق المرسلة١: ٧٨-٧٩.

(٣) إن المتكلمين بنوا العلم بإثبات الصانع على حدوث الأجسام، واستدلوا على حدوثها بأنها مستلزمة للحركة والسكون والاجتماع والافتراق، ثم قالوا: إن تلك أعراض والأعراض حادثة وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فلزمهم من سلوك هذه الطريق إنكار كون الرب فاعلاً في =

تعالى ليس بجسم فلا يصح عليه الحركة والانتقال، لكن الحق أن الله ليس كمثله شئ فمن ظن أن ما يوصف به الرب عزوجل لا يكون إلا مثل ما يوصف به أبدان بني آدم فغلط عظيم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا كانت الروح تعرج إلى السماء مع أنها في البدن علم أنه ليس عروجها من جنس عروج البدن الذي يمتنع هذا فيه، وعروج الملائكة ونزولها من جنس عروج الروح ونزولها لا من جنس عروج البدن ونزوله، وصعود الرب عزوجل فوق هذا كله وأجل من هذا كله، فإنه تعالى أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق، وإذا قيل: الصعود والنزول والمجئ والإتيان أنواع جنس الحركة، قيل: الحركة أيضا أصناف مختلفة فليست حركة الروح كحركة البدن ولا حركة الملائكة كحركة البدن، والحركة يراد بها انتقال البدن والجسم من حيز إلى حين، ويراد بها أمور أخرى (١). وقال الصابوني في "عقيدة السلف" سئل أبو حنيفة رحمه الله عنه فقال: ينزل بلا كيف. وقال بعضهم: ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلي والتعلي (٢) لأنه جل جلاله منزه من أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان

= الحقيقة وإن سموه فاعلا بألسنتهم، فإنه لا يقوم به عندهم فعل، وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام، وضم الجهة إلى ذلك أنه لوقام به صفة لكان جسماً ولو كان جسماً لكان حادثاً فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته، فعطلوا صفاته وأفعاله بالطريق التي أثبتوا بها وجوده فكانت أبلغ الطرق في تعطيل صفاته وأفعاله، وعن هذه الطريق أنكروا علوه على عرشه وتكلمه بالقرآن ورؤيته بالأبصار في الآخرة ونزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة (الصواعق المرسلة ملخصاً١: ٢٠٣-٢٠٤)

(١) شرح حديث النزول ص ٩٨.

(٢) كذا في الأصل.

منزهاً من أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فمجيئه وإيتاته ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف (١).

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله: أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يوجب مكاناً وكذلك نقلته لا توجب مكاناً، وليس في ذلك كالخلق لأن كونه يوجب مكاناً من الخلق ونقلته توجب مكاناً، ويصير منتقلاً من مكان إلى مكان، والله تعالى ليس كذلك، ولكنا نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحداً، لأنا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن، وقد قال الله تعالى: "وجاء ربك والملك صفاً صفاً" (سورة الفجر آية ٢٤) وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا ابتدالاً لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائى جسماً أو جوهراً، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لم يجب أن يكون محيئه حركة ولا نقلاً٢.

(ولا الجهل ولاالكذب) لأنها نقائص يجب تنزيه الله تعالى عنها بالنقل والعقل.

وهو فوق العرش

(وهو فوق العرش) لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك، بل تبين بما ارتقى إليه علم الهيئة الفلكية بالآلات الحديثة بطلان القول بالأفلاك التسعة التي تخيلها اليونان، أما عرش الرحمن فهو مباين لغيره من المخلوقات، وله حملة اليوم ويوم القيامة، وحملته ومن حوله يسبحون

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية١: ١١٥-١١٦.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ملخصاً ص ٥٤.

ويستغفرون للمؤمنين، قال الله تعالى: "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا" (سورة المؤمن آية ٧) وقال: "يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية" (الحاقة آية ١٧) وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض كما قال: "وهوالذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء" (هود آية ٧) واهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ (كما وصف نفسه ولكن لا بمعنى التحيز والجهة بل لا يعلم كنه هذا التفوق والاستواء إلا هو والراسخون (١) في العلم ممن آتاه الله من لدنه علماً) أما مسألة الفوقية فقد حققناها في مسألة الجهة وسنزيد هاهنا ليكون الطالب على بصيرة في مسألة التفوق والاستواء، قال الحافظ ابن القيم في الصواعق المرسلة ج ٢ ص ١٢٦: إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: " ولما بلغ أشده واستوى" (سورة القصص آية ١٤) وهذا معناه كمل وتم، وأما المقيد فثلاثة أضراب: أحدها مقيد بإلى كقوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" (سورة البقرة ٢٩) وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بالى في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى

---

(١) قال المصنف رح في البدور البازغة ص ١٥٨: الراسخون في العلم وهم حكماء قوية الذكاء والضبط سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة والكتاب فصادف ذلك من قلوبهم انقياداً وإقبالاً إلى التكميل بالعلم، ومن طبيعتهم الفطنة العجيبة والضبط البالغ فصار التبحر في العلم ديدناً لهم، وانكشفت عليهم علوم الأنبياء والمرسلين على وجهها، حتى لو فرض كشف الغطاء لما ازدادوا يقيناً وإصابة، وعلامة هؤلاء أن يظهرالعلم منهم كأنه ينحدر في جذر قلوبهم من الله تعالى وينقدح انقداح النار من الزناد مع صحة طبيعتهم وكمال ضبطهم-انتهى.

السماء" (البقرة آية ٢٩) والثاني في سورة حم السجدة "ثم استوى إلى السماء وهي دخان" (حم السجدة آية١١) وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، والثاني مقيد بعلى كقوله تعالى: "لتستووا على ظهوره" (الزخرف آية ١٣) وقوله: "واستوت على الجودي" (سورة هود آية ٤٤) وقوله: "فاستوى على سوقه" (الفتح آية ٢٩) وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة، الثالث المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبا بمعنى ساواه، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتد بقولهم، وإنما قاله متأخر والنحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية.

وقال الإمام الجويني والد إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٣٨هـ في رسالته في إثبات الاستواء والفوقية: والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين هو في علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف (١) ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن

---

(١) ومراد السلف بقولهم "بلا كيف" هو نفي للتأويل فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقولون في ثلاثة محاذير نفي الحقيقة وإثبات التكييف بالتأويل وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما اثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف "بلا كيف" راداً عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل، تحريف اللفظ وتعطيل معناه (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧٣).

مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به (١) إن الذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء فمقصودهم الفرار من التحيز والحصر (٢) قال الحافظ ابن القيم رح: وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشئ والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله: "الرحمن على العرش استوى" (طه آية ٥) قال علا، وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أى استقر واحتج بقوله تعالى:"ولما بلغ أشده واستوى" (القصص آية ١٤) انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد، قال ابن عبدالبر: الاستواء الاستقرار في العلو(٣).

هو مرئى للمؤمنين يوم القيامة بوجهين

أحدهما أن ينكشف عليهم انكشافاً بليغاً أكثر من التصديق به عقلاً، فكأنه رؤية بالبصر إلا أنه من غير محاذاة ومقابلة وجهة ولون وشكل، وهذا الوجه قال به المعتزلة وغيرهم وهو حق وإنما خطأهم في تأويلهم الرؤية بهذا المعنى أو حصرهم الرؤية في هذا المعنى، وثانيهما أن يتمثل لهم بصور كثيرة كما هو مذكور في السنة فيرونه بأبصارهم بالشكل واللون والمواجهة) المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام، وقال الله تعالى:

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية ١: ٧٣.
(٢) المستفاد من الصواعق المرسلة١: ٣٢.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ملخصاً ص ٤٧.

"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" (القيامة آية ٢٢-٢٣) وقال تعالى: "لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد" (سوره ق آية ٣٥) وقال تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" (سورة يونس آية ٢٦) فالحسنى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجهه الكريم، فسّرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم، وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: "لن تراني" (الأعراف آية ١٤٢) وبقوله تعالى: "لا تدركه الأبصار" (الأنعام آية-١٠٢) فالآيتان دليل عليهم، أما الآية الأولى فلأنه تعالى قال: "لن تراني" ولم يقل إني لا أرى، والفرق بين الجوابين ظاهر، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، وأما الآية الثانية فالمعنى أنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الادراك هو الإحاطة بالشئ، وهو قدر زائد على الرؤية، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يجاط به علماً (١) (كما يقع في المنام كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال: رأيت ربي في أحسن صورة، فيرونه هناك عياناً كما يرون في الدنيا مناماً، وهذان الوجهان نفهمها ونعتقدهما وإن كان الله ورسوله أرادوا بالرؤية غيرهما فنحن آمنا بمراد الله تعالى ورسوله وإن لم نعلم بعينه ذلك).

ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

(ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالكفر وا لمعاصي بخلقه وإرادته لا برضاه) منشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضاء، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ثم اختلفوا فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون

(١) شرح العقيدة الطحاوية ملخصاً ص ١١٨-١٢٣.

محبوباً مرضياً، وقالت القدرية للنفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة (١). وأما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة فيقولون: ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن (٢).

الإرادة في كتاب الله نوعان:

والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، والإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة لجميع الحوادث وهذا كقوله تعالى: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء" (الأنعام آية ١٢٥) وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية فكقوله تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" (سورة البقرة آية ١٨٥) والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى (٣)، قال علي القاري: قد اتفقوا على جواز إسناد الكل إليه سبحانه جملة فيقال: جميع الكائنات مرادة لله، ومنهم من منع التفصيل فقال: لا يقال: إنه يريد الكفر والظلم والفسوق لإيهامه الكفر ولسوء الأدب معه سبحانه(٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦.

(٣) ملخصاً من شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦-٤٧.

(٤) شرح الفقه الأكبر ص ٦٤.

هو غــــني

(وهــو غـني لا يحتــاج إلى شــيء في ذاتــه وصفاتــه) لأن الاحتياج من أمارات الحدوث والإمكان والله تعالى منزه عنه.

لا حاكم عليه:

(ولا حاكم عليه) بل هو الحاكم على الكل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وفي القنوت "إنك تقضي ولا يقضى عليك" قال في العقيدة الطحاوية: (لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فمن سأل لم فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب.

لا يجب عليه شئ بإيجاب غيره

(ولا يجب عليه شئ بإيجاب غيره) بـل هـوَ أوجـب على نفسه وحـرم على نفسه كما نطق بذلك الكتــاب والسنة في مثل قوله تعالى: "وكتب ربكم على نفسه الرحمة" (الأنعام آية ٥٣) وقوله: وكان حقاً علينا نصرا المؤمنين" (سورة الروم آية ٤٧) وقوله في الحديث القدسي الصحيح: يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي (١) (نعم قد يعد شيئا فيفي بالوعد كما ورد فهو ضامن على الله) إن الله إذا وعد عباده بشئ كان وقوعه واجبا بحكم وعده فإنه الصادق في خبره الذي "لا يخلف الميعاد" (آل عمران آية٩).

إنه تعالى موصوف بالحكمة

(وجميع أفعاله يتضمن الحكمة) أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة لكن تنازعوا في تفسير ذلك

---

(١) منهاج السنة١: ١٢٥.

فقالت طائفة: الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده. وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره، والقول بإثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين، فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية وإنما يتنازع في ذلك طائفة من نفاة القدر وغير نفاته، وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان وموافقيه كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون: ليس في القرآن لام التعليل في أفعال الله بل ليس فيه إلا لام العاقبة، وأما الجمهور فيقولون: لام التعليل داخلة في أفعال الله وأحكامه (١).

(المصلحة الكلية على ما يعلم) "المصلحة الكلية" من مصطلحات المصنف رح، ولعل المراد منه النظام العمومي أو النفع العمومي كما يظهر من سياق العبارات في كتابه "حجة الله البالغة".

اللطف الجزئى أوالأصلح الخاص

(ولا يجب عليه اللطف الجزئى الخاص أو الأصلح الخاص) إن المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح في دينه، وتنازعوا في وجوب الأصلح في دنياه، ومذهب الأشاعرة أنه لا يجب عليه شئ، لكن المصنف رحمه الله اختار أمراً وسطاً، فلعل مقصوده كما فهمناه أن اللطف العمومي والأصلح العمومي من مقتضيات رحمة الله تعالى، وهذه الرحمة العامة إن كان مفضياً لضرر عبد

---

(١) منهاج السنة١: ٣٤-٣٥.

من العباد فلا يجب عليه اللطف الجزئى أو الأصلح الخاص بمقابلة تلك الرحمة العامة، ويدل على هذا قول المصنف في كتابه "حجة الله البالغة": والشر القليل إذا كان مفضياً إلى الخير الكثير واجب فعله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل فلا يوافقونهم على هذا ١ بل يقولون: إنه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها سبحانه وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يضلهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك، والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة (٢) قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: وماكان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة وإن تضرر به بعض الناس (٣).

لا قبيح منه

(ولا قبيح منه) بل كل ما يخلقه ففيه حسن وحكمة باعتبار خير وبهذا ورد الحديث: الخير كله بيديك والشر ليس إليك، نعم قد يكون قبيحاً وشراً لبعض الناس فهذا شرجزئى إضافي، أما شر كلى أو شر مطلق فالله تعالى منزه عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيميةرح: جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد من حكمة، قال تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شئ" (النمل

---

(١) أى لا يوافقون المعتزلة والشيعة في قولهم: إن على الله واجب أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له.

(٢) أقوم ما قيل ص ١٢٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رح: وذهب جمهورالعلماء إلى أنه إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وأن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله وأن إرسال الرسل مصلحة عامة وإن كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته (منهاج السنة١ : ١٢٨).

(٣) أقوم ما قيل ص ١٢٣.

آية ٨٨) وقال: "الذي أحسن كل شئ خلقه" (السجدة آية ٦) والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً بالنسبة إلى من تضرر به(١).

لا ينسب في ما يفعل أو يحكم إلى جور وظلم

(ولا ينسب في ما يفعل أو يحكم إلى جور وظلم) ليس في أهل الإسلام من يقول: إن الله يفعل ما هو ظلم منه ولا عبث عنه- تعالى الله عن ذلك- بل الذين يقولون: إنه خالق كل شئ من أهل السنة والشيعة يقولون: إنه خلق أفعال عباده فإنها من جملة الأشياء ومن المخلوقات ما هو مضر لبعض الناس، ومن ذلك الأفعال التي هي ظلم من فاعلها وإن لم تكن ظلماً من خالقها، كما أنه إذا خلق فعل العبد الذي هو صوم لم يكن هو صائماً، فالله تعالى إذا خلق في محل صفة أو فعلاً لم يتصف هو بتلك الصفة ولا ذلك الفعل إذ لو كان كذلك لاتصف بكل ما خلقه من الأعراض، ولكن هذا الموضوع زلت فيه الجهمية من المعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة الذين يقولون: ليس لله كلام إلا ما خلقه في غيره، وليس له فعل إلا ما كان منفصلاً عنه، فلا يقوم به عندهم لا فعل ولا قول، فقيل لهم: الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره فإذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها لم يكن المتحرك بها هو الخالق لها، فكذلك إذا خلق كلاماً في محل كان هو المتكلم بذلك الكلام وكان ذلك الكلام كلاماً لذلك المحل، الكلام الذي سمعه موسى وهو قوله: "إني أنا الله" كلام الشجرة لا كلام الله لو كان ذلك مخلوقاً، واحتجت المعتزلة وأتباعهم من الشيعة على ذلك بالأفعال فقالت

---

(١) أقوم ما قيل ص ١٢٢.

كما أنه عادل محسن بعدل وإحسان يقوم بغيره، فكذلك هو متكلم بكلام يقوم بغيره، وكان هذا حجة على من سلم الأفعال لهم كالأشعري ونحوه فإنه ليس عنده فعل يقوم به بل يقول: الخلق هو المخلوق لا غيره لكن جمهور الناس يقولون: الخلق غير المخلوق (١).

إثبات الحكمة والتعليل في أفعاله وأحكامه

(يراعي الحكمة فيما خلق وأمر لا أنه يستكمل نفسه وصفاته بشئ وأن يكون له حاجة وغرض فإن ذلك ضعف وقبح) جمهور أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل في أفعاله وأحكامه، وأما لفظ الغرض فالمعتزلة تصرح به، وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللفظ يشعر عندهم بنوع من النقص، إما ظلم وإما حاجة فإن كثيراً من الناس إذا قيل فلان له غرض في هذا، أو فعل هذا لغرضه أرادوا أنه فعله لهواه ومراده المذموم، والله منزه عن ذلك فعبر أهل السنة بلفظ الحكمة والرحمة ونحو ذلك مما جاء به النص (٢).

لا حاكم سواه

(لا حاكم سواه فليس للعقل حكم في حسن الأشياء وقبحها وكون الفعل سبباً للثواب والعقاب، وإنما حسن الأشياء وقبحها بقضاء الله تعالى وحكمه وتكليفه للناس، فمنها ما يدرك العقل وجهه ومصلحته ومناسبته للثواب والعقاب، ومنها مالا يدرك إلا باخبار الرسل عن الله تعالى).

---

(١) منهاج السنة ملخصاً: ١٢٦-١٢٧.
(٢) منهاج السنة ملخصاً: ١٢٦

بحث للتاج السبكي

هذا بحث شريف يجب التنبيه عليه، قال التاج السبكي في جمع الجوامع: الحسن والقبح بمعنى ملائمة الطبع ومنافرته وصفة الكمال والنقص عقلي، وبمعنى ترتب الذم عاجلا والعقاب آجلا شرعي خلافاً للمعتزلة، قال شارحه ولي الدين أحمد الشهير بأبي زرعة العراقي الشافعي: الحسن والقبح يطلق بثلاثة اعتبارات: أحدها ما يلائم الطبع وينافره كقولنا: إنقاذ الغريق حسن واتهام البرئ قبيح، والثاني صفة الكمال والنقص كقولنا: العلم حسن والجهل قبيح، وهو بهذين الاعتبارين عقلي بلا خلاف أي إن العقل يستقل بادراكهما من غير توقف على الشرع، والثالث مايوجب المدح أو الذم الشرعي عاجلا والثواب أو العقاب آجلا، وهو موضع الخلاف، والمعتزلة قالوا: هو عقلي أيضا أي يستقل العقل بادراكه، وقال أهل السنة: هو شرعي لا يعرف إلا بالشرع...، ونقل العلامة السفاريني عند شرح قوله:

وربنا يخلق باختيار — من غير حاجة ولا اضطرار
لكنه لا يخلق الخلق سدى — كما أتى في النص فاتبع الهدى

ما نصه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضى الله تعالى عنهم، ونفى ذلك الأشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسرا بكون الفعل نافعاً للفاعل ملائما له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه

تمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع، وظن من ظن من هؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجبها الله تعالى وندب إليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم، وجميع الأفعال التي نهى الله تعالى عنها هي ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم، والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له، والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له، والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود إليه من أفعاله تعالى.

قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل إلا ما عاد إلى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا: القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكناً من الأفعال فهو حسن، إذ لا فرق بالنسبة إليه عندهم بين مفعول ومفعول، وأولئك- يعني المعتزلة- أثبتوا حسناً وقبحاً لا يعود إلى الفاعل منه حكم يقوم بذاته، وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك، وإن كانوا قد يتناقضون، ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح، فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد، ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد، ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته، فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة، فلا يجعلونه على كل شئ قديراً ولا يقولون: ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقرون بأنه خالق كل شئ، ويثبتون له من الظلم مانزه نفسه عنه، فإنه سبحانه قال: "ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً" أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته،

والحاصل أن فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعلة في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية، وقاله الظاهرية والأشعرية والجهمية، والقول الثاني أنها لعلة وحكمة، اختاره الطوفي، وهو مختار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل، وحكاه عن إجماع السلف، وهو مذهب الشيعة والمعتزلة، لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الأصلح قولان، والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهاج المعتزلة، قال شيخ الإسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان، والأكثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل، لهم فيه أيضاً قولان، وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال، قال: احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل" وقوله تعالى: "كي لا يكون دولة" وقوله سبحانه: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم" ونظائرها، ولأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعلمين" والإجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح جوازاً عند أهل السنة ووجوباً عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته، وتقدم أن النافين للحكمة والعلة احتجوا بما احتجو به أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال، ومن حدوثها افتقارها إلى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل، قال الإمام الرازي: وهو مراد المشايخ بقولهم: كل شئ صنعه ولا علة لصنعه، وما أجاب به من قال بالحكمة وأنها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالإرادة فإنها قديمة ومتعلقها حادث(١).

---

(١) جلاء العينين لابن الآلوسي ص ٢٥٠-٢٥٢.

كل صفة من صفاته واحدة بالذات

(وكل صفة من صفاته واحدة بالذات) لا يتكرر ولا يتعدد، فهو سبحانه فاعل بفعل واحد جميع المفعولات، وإنما التعدد في تأثيرها وأسمائها دون نفسها، (غير متناهية بحسب التعلق والتجدد) كما قال تعالى: "وما يعلم جنود ربك إلا هو" (وإنما هو في المتعلق بالمعنى المذكور) فليس التعلق أيضاً بمتعدد وإنما المتعدد هو المتعلق (بالفتح) فتظهر أحكام التعلق متفاوتة متعددة بحسب تفاوت المتعلقات، وهو سبحانه برئ عن الحدوث والتجدد من جميع الوجوه.

الملائكـــة

(ولله تعالى ملائكة) الملك معناه الرسول وأصله ملأك على وزن مفعل، ولكن ألقيتَ حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، وهذه المادة معناها الرسالة (١)، وملائكة الله الذين يدبر بهم أمر السماء والأرض ليست هي الكواكب عند أحد من سلف الأمة، وليست الملائكة هي العقول والنفوس التي تثبتها الفلاسفة المشاؤن أتباع أرسطو ونحوهم (٢) (علويون مقربون) هم أفاضل الملائكة مقربو الحضرة (وملائكة هم مؤكلون على كتابة الأعمال وحفظ العبد عن المهالك والدعوة إلى الخير ويلمون بالعبد لمة الخير).

صورة تأثير الملائكة

إن صورة تأثير الملائكة في نشأة الخواطر الأنس والرغبة

---

(١) الرد على المنطقين لابن تيمية ص ٥٠٠.
(٢) الرد على المنطقين ص ٢٧٥.

في الخير (١) (ولكل واحد مقام معلوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون).

الشياطين

(ومن خلق الله تعالى الشياطين) قال المصنف رح: اعلم أن الله تعالى خلق الشياطين وجبلهم على الإغواء بمنزلة الدود التي تفعل أفعالاً بمقتضي مزاجها، وأن لهم رئيسا يضع عرشه على الماء ويدعوهم لتكميل ما هم قبله، قد استوجب أتم الشقاوة وأوفر الضلال، وليس في هذا مجان، وقد تحققت من ذلك ما يكون بمنزلة الرؤية بالعين (٢) (لهم لمة شر بابن آدم) إن الشياطين توسوس في نفوس بني آدم العقائد الفاسدة، والأمر باتباع الهوى، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وصورة تأثير الشياطين في نشأة الخواطر، وهوقلق الخاطر والرغبة في الشر، قال المصنف رحمه الله: اعلم أن تأثير وسوسة الشياطين يكون مختلفاً بحسب استعداد الموسوس إليه، فأعظم تأثيره الكفر والخروج من الملة، فإذا عصم الله من ذلك بقوة اليقين انقلب تأثيره في صورة أخرى، وهى المقاتلات وفساد تدبير المنزل، والتحريش بين أهل البيت وأهل المدينة، ثم إذا عصم الله من ذلك أيضاً صار خاطراً يجئ ويذهب ولا يبعث النفس إلى عمل لضعف أثره، وهذا لا يضر.

القرآن كلام الله

(والقرآن كلام الله) ليس مبايناً عنه بل أسمعه لجبرئيل ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: "والذين

---

(١) حجة الله البالغة أبواب الإيمان ص ١٦٦.
(٢) حجة الله البالغة أبواب الإيمان ص ١٦٥.

آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق" (الأنعام آية ١١٤) (أوحى الله به إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء") والشورى آية ٥١).

حقيقة الوحي

(فهذه حقيقة الوحي) الوحي هو النفث في الروع برؤيا أو خلق علم ضروري عند توجهه إلى الغيب، ومن وراء حجاب أن يسمع كلاماً منظوماً كأنه سمعه من خارج ولم ير قائله، أو يرسل رسولاً فيتمثل الملك له، وربما يحصل عند توجهه إلى الغيب وانقهار الحواس صوت صلصلة الجرس كما قد يكون عند عروض الغشى من رؤية ألوان حمر وسود (١).

لا يجوز الالحاد في أسماء الله وصفاته

(ولا يجوز الإلحاد في أسماء الله وصفاته) قال الراغب في المفردات (ص٤٦٤) والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما أن يوصف بما لا يصلح وصفه به، والثاني أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به (فيتوقف الإطلاق على الشرع) والحق أن صفاته وأسماءه توقيفية بمعنى أنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع صفاته تعالى عليها، لكن كثيراً من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلوا وأضلوا، وكثير من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل لكن قوماً من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محملها وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة، وكثير من الصفات يوهم

---

(١) حجة الله البالغة أبواب الإيمان ص ٦٤.

استعمالها على ظواهرها خلاف المراد فوجب الاحتراز عنها، فلهذه الحكم جعلها الشرع توقيفية ولم يبح الخوض فيها بالرأى(١).

المعاد الجسماني

(والمعاد الجسماني) أى عود الجسم بعد الإعدام (حق ثابت) طريقة القرآن في بيان إمكان المعاد أنه تارة يخبر عمن أماتهم ثم أحياهم كما أخبر عن قوم موسى بقوله: "وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون" (سورة البقرة آية ٥٥، ٥٦) وكما أخبر عن المضروب بالبقرة بقوله: فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى" (سورة البقرة آية ٧٣) وكما أخبر عن "الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذرا لموت" (سورة البقرة آية ٢٤٣) وكما أخبر عن "الذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها" (سورة البقرة آية ٢٥٩) وعن إبراهيم "إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحى الموتى" (سورة البقرة آية ٢٦٠) وكما أخبر عن المسيح عليه السلام أنه كان يحي الموتى بإذن الله، وتارة يدل على ذلك بالنشأة الأولى وأن الإعادة أهون من الابتداء كما قال: "وهوالذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه" (سورة الروم آية ٢٧) وتارة يستدل على إمكان ذلك بخلق السموات والأرض فان خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله: "وقالوا ءاذا كنا عظاماً ورفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً، أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه" (الإسراء آية ٩٨،٩٩) وتارة يستدل

---

(١) حجة الله البالغة، الإيمان بصفات الله ص ٦٤.

على إمكانه بخلق النبات كما في قوله: " والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور" سورة فاطر آية٩) (بحشر الأجساد ويعاد فيها الأرواح) والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فيستحيل ترابا، ثم أنشأها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الاعادة(١))(وتكون الأبدان تلك التي كانت شرعاً وعرفاً وإن طالت أو قصرت كما ورد أن ضرس الكافر مثل أحد، أو كانت ألطف منها كما ورد في صفة أهل الجنة، وذلك كما أن الصبي هو الذي يشب ويشيب وإن تبدلت الأجزاء فيه ألف مرة) قال المصنف: اعلم أن حشر الأجساد وإعادة الأرواح إليها ليست حياة مستأنفة، إنما هى تتمة النشأة المتقدمة بمنزلة التخمة لكثرة الأكل، كيف ولولا ذلك لكانوا غير الأوليين ولما أخذوا بما فعلوا(٢).

المجازاة

(والمجازاة) اعلم أن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر في أربعة مواطن: الأول في الدنيا، الثاني في البرزخ، الثالث يوم الحشر، الرابع في الجنة أو النار(٣).

المحاسبة

(والحساب) كان العدوي يقول: إذا وقف الناس على

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤١.
(٢) حجة الله البالغة أسرار الوقائع الحشرية ص ٣٦.
(٣) المستفاد من التفهيمات الإلهية١: ٢٥٢-٢٥٥.

أعمالهم من الصحيفة التي يؤتون بها بعد البعث حوسبوا بها ثم تلا "فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً" (الانشقاق آية ٧-٨) فدل على أن المحاسبة تكون بعد إيتاء الكتاب لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين شيئا من أعمالهم، قال تعالى "يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملو أحصاه الله ونسوه" (المجادلة آية٦).[١] وروى البخاري رح في صحيحه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً" (الانشقاق آية ٧-٨)فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب، وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله! قال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون. وقال المصنف رحمه الله: وأما الذين يدخلون الجنة بلا حساب فأولئك قوم زكت فطرتهم وتلونت بهيميتهم بلون ملكيتهم فمابقى في نسماتهم أوجب دخول الجنة أو شملتهم رحمة عظيمة كفرت خطاياهم (٢).

الصــــراط

(والصراط) هو ثابت بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: "وإن منكم إلا واردها" (سورة مريم آية ٧١)، قال النووي في شرح مسلم: الصحيح أن المراد في الآية المرور على الصراط، انتهى. وهو

---

(١) مختصر تذكرة الإمام القرطبي ص ٦٠.

(٢) التفهيمات١ : ٢٣٤.

المروي عن ابن عباس وجمهور المفسرين، وورد في صحيح مسلم أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف (١). وأخرج ابن جرير وابن حاتم عن ابن مسعود في قوله تعالى: "نورهم يسعى بين أيديهم" (سورة التحريم آية٨) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً في إبهامه فيتقد مرة ويطفئ أخرى (٢).

الميـــزان

(والميزان حق) إنما توزن الأعمال إذا انقضى الحساب لأن الوزن للجزاء فلذلك كان بعد المحاسبة، لأن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإ ظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً" (الأنبياءآية٤٧)(٣).

الجنة والنـــار

(والجنـة حـق والنـار حـق وهمـا مخلوقتـان اليـوم) موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبعت نابعة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، ومن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة "أعدت للمتقين" (آل عمران آية١٣٣) "أعدت للذين آمنوا بالله ورسله" (الحديد آية ٢١) وعن النار "أعدت للكافرين" (البقرة آية ٢٤) وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأىَ عندها

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص ١١٩.

(٢) البدور السافرة ص ١٤٥.

(٣) مختصر تذكرة الإمام القرطبي ص ٧١.

جنة المأوى (ولم يصرح نص بتعيين مكانهما بل هما حيث شاء الله إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه) أى ليست صراحة لا تبقي معها شبهة وإلا فدل على كون الجنة في السماء قوله تعالى: "ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى" (سورة النجم آية ١٣-١٥) وقال علي القاري: الأصح أن الجنة في السماء (١) وليس لتعيين النار دليل صريح يستدل به.

لا يخلد المسلم صاحب الكبيرة

(ولا يخلد المسلم صاحب الكبيرة في النار وهى التي قال الله تعالى: "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم" (النساء آية ٣١) يعني بالصلاة والكفارات) رد لقول الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج يقولون بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين.

إن أفعال الله تعالى في الدنيا والآخرة على وجهين:

(والعفو عن الكبائر جائز غير أن أفعال الله تعالى في الدنيا والآخرة على وجهين: موافقة لسنة الله تعالى، وكائنة على سبيل خرق العوائد، وعفو الكبائر عمن مات بلا توبة جائز من باب خرق العوائد، وكذلك العفو عن حقوق الناس جائز بطريق خرق العوائد، وهذا وجه التطبيق بين النصوص المتعارضة بادئ الرأى) قال المصنف رحمه الله وقد اختلف الناس في الكبيرة إذا مات العاصي عليها ولم يتب، هل يجوز أن يعفو الله عنه أولا؟ وجاء كل فرقة بأدلة من الكتاب والسنة، وحل الإختلاف عندي

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص ١١٨.

أن أفعال الله تعالى على وجهين، منها الجارية على العادة المستمرة، ومنها الخارقة للعادة، كما أن لله تعالى في الدنيا أفعالاً خارقة وأفعالاً جارية على العادة، فكذلك في المعاد أفعال خارقة وعادية، أما العادة المستمرة فأن يعاقب العاصي إذا مات من غير توبة زماناً طويلاً، وقد تخرق العادة، وكذلك حال حقوق العباد، أما خلود صاحب الكبيرة في العذاب فليس بصحيح وليس من حكمة الله أن يفعل بصاحب الكبيرة مثل ما يفعل بالكافر سواء (١). وفي أبواب الإيمان من حجة الله البالغة: فالكبائر إذا قيست بالكفر لم يكن لها قدر محسوس، ولا تأثير يعتد به ولا سببية لدخول النار تسمى سببية (٢).

الشفـــاعة

(والشفاعة حق لمن أذن له الرحمن، وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته حق وهو مشفع وحيث وقع نفي الشفاعة فالمراد منها الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ورضائه) اعلم أن الشفاعة أثبتها الله في قاطبة الشرائع لخواص البشر، وحقيقة الشفاعة كما ذكر المصنف في التفهيمات أنها عبارة عن نزول رحمته الخاصة التي تكون سبباً لدفع بعض ذنوب العباد، بواسطة خواص عباده (٣). أما الشفاعة التي نفيت فحقيقتها أن الناس إعتقدوا أن الله هو السيد وهو المدبر لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف ويجعله متصرفاً في بعض الأمور الخاصة ويقبل شفاعته في عباده، فرد الله عليهم ونفى هذه الشفاعة.

---

(١) حجة الله البالغة (باب مفاسد الآثام) ملخصاً ص ٧٧-٧٨.
(٢) حجة الله البالغة ص ١٦٤.
(٣) الفتهيمات١: ٢٥٥.

عذاب القبر وتنعيمه

(وعذاب القبر للفاسق وتنعيمه للمؤمن حق) ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: "ومن ورآئهم برزخ إلى يوم يبعثون" (المؤمنون آية ١٠٠) (١).

سؤال المنكر والنكير

(وسؤال المنكر والنكير حق) قد تواترت الأحاديث بذلك، روى البخاري عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (سورة إبراهيم آية ٢٧) قال ابن عبدالبر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى دين الإسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر فإنه لا يسأل، وخالفه القرطبي وابن القيم وقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يسألان، قلت: ما قالاه ممنوع فإنه لم يجتمع بينهما في شئ من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمول على أن المراد به المنافق بدليل قوله في حديث أسماء: وأما المنافق أو المرتاب ولم يذكر الكافر (٢).

بعثة الرسل إلى الخلق

(وبعثة الرسل إلى الخلق حق) خلافاً للبراهمة فإنهم لا

---

(١) كتاب الروح لابن القيم رحمه الله ص ٩٠.

(٢) شرح الصدور ص ٥٦.

يجوزون على الله بعثة الرسل وهذا قول مردود، لأنا نعلم أنه كان في الأرض من يقول بأنهم رسل الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم وعاقب أعداءهم، هذا من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها، ونقل هذه الأمور أظهر من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها وأخبار اليونان، فنحن نعترف أن بعثة الرسل إلى الخلق حق. (وتكليف الله عباده بالأمر والنهي على ألسنة الرسل حق وهم متميزون بأمور لا توجد في غيرهم على سبيل الاجتماع تدل على كونهم أنبياء).

خرق العوائد

(منها خرق العوائد لهم) قال المصنف رح: وظهور معظم المعجزات يكون من أسباب ثلاثة: أحدها كونه من المفهمين، فإن ذلك يوجب انكشاف بعض الحوادث عليه، ويكون سبباً لاستجابة الدعوات وظهور البركات، والثاني أن يكون الملأ الأعلى مجمعاً إلى تمشية أمره، فيوجب ذلك إلهامات وإحالات وتقريبات لم تكن تعهد من قبل، والثالث أن تحدث حوادث لأسبابها الخارجية من مجازاة العصاة وحدوث الأمور العظام في الجو فيجعلها الله تعالى معجزة له بوجه من الوجوه، إما لتقدم إخبار بها أو ترتب المجازاة على مخالفة أمره أو كونها موافقةً بما أخبر من سنة المجازاة أو أمر مما يشبه ذلك (١). ومنها سلامة فطرتهم وكمال أخلاقهم وغير ذلك، والأنبياء معصومون من الكفر وتعمد الكبائر والإصرار عليها) أجازت الإمامية عليهم إظهار الكفر على سبيل التقية وهذا من غاية حماقتهم، وأجازت

---

(١) حجة الله البالغة، باب حقيقة النبوة ملخصاً ص ٨٤

الحشوية عليهم الكبائر على جهة العمد (١)، وأصحابنا (الأشاعرة) منعوا الكبائر مطلقاً سواء كان عمداً أو سهواً، وجوزوا الصغائر سهواً لا عمداً (٢) لكن المحققين ممن ذهب إلى تجويز الصغائر اشترطوا أن يخبرهم الله سبحانه بأن هذا لا يليق فينتهوا عنه.

وجوه العصمة ثلاثة:

يعصمهم الله تعالى عنها بوجوه ثلاثة:

أحدها أن يخلقهم في سلامة الفطرة، وكمال اعتدال الأخلاق فلا يرغبون في المعاصي، بل يكونون متنفرين عنها، وثانيها أن يوحي إليهم أن المعاصي يعاقب عليها والطاعات يثاب عليها، فيكون ذلك رادعاً عن المعاصي، والثالث أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي بإحداث لطيفة غيبية كظهور صورة يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه في قصة يوسف عليه السلام!.

ختم النبوة له معنيان:

(ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبى بعده)

اعلم أن ختم النبوة له معنيان: أحدهما أن زمن النبى الخاتم إنما هو بعد زمن الأنبياء كلهم، فلا يأتي بعده نبي، ويسمى هذا المعنى بالختم الزماني، الثاني أن منازل النبوة تنتهي إليه فلا يفوقه نبي في ذلك، وإنما هو فوق جميع منازل الأنبياء والمستبد بالمنزلة العليا، وبما أن هذه المنزلة أرفع المنازل كلها لا بد لخاتم النبوة من أن يكون أفضل الأنبياء جميعاً وأرفعهم في هذا الوصف المتان،

---

(١) تحفة الأخلاء في عصمة الأنبياء ص ١٧-١٩.

(٢) شرح مطالع الأنظار ص ٢١٠.

ويسمى هذا المعنى بالختم الرتبي، وعلى هذا الاعتبار فيكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جامعاً للمعنيين كليهما (١).

(دعوته عامة لجميع الإنس والجن) يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عزوجل أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين الانس والجن وأوجب عليهم الإيمان بما جاء به وطاعته(٢) (وهو أفضل الأنبياء بهذه الخاصة ويخواص أخرى نحو هذه).

كرامات الأولياء حق:

(وكرامات الأولياء وهم المؤمنون العارفون بالله تعالى وصفاته المحسنون في إيمانهم حق يكرم الله بها من يشاء ويختص برحمته من يريد) إن العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانو يتقون" فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيفعلون ما أمر به وينتهون عما نهى عنه وزجر، فيؤيد هم الله بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً (٣).

وقال الشيخ ابن تيمية رح: المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من

---

(١) رجوم المدنيين للشيخ حسين أحمد رحمه الله معرباً ص ٨٨-٨٩.

(٢) إيضاح الدلالة لابن تيمية.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ملخصاً ص ٨٤-٨٥.

المسلمين، أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء، فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا، فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء فهو مؤكد لآيات الأنبياء، و (هو) أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقوله، وجنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان، وأما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره من الحيوان والجن (١). وقال الشيخ ابن تيمية رح: وبين كرامات الأولياء وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة، منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله ورسوله عنه (٢).

العشرة المبشرة

(ونشهد بالجنة والخير للعشرة المبشرة) حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة،

---

(١) كتاب النبوات بتلخيص وتغيير يسير ص ٤و٥.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٩٢.

وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة (١).
وصحت البشارة بالجنة لغيرهم، ولعل الباعث على اشتهار العشرة بالبشارة لوقوع بشارتهم في حديث واحد. وقال المصنف رح في التفهيمات: قلت المبشرون بالجنة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا كسائر الناس ولا يقاسون على من سواهم فهم مبرؤن عن الخبائث مطهرون عن الأرجاس لا يتهمون بتهمة ولا يظن بهم الا ما يناسب بشرفهم، ولكنهم منقادون للشرائع السماوية ومشتركون مع الناس فيها لانعقاد التشريع على أفراد الإنسان مطلقاً من غير تميز فرد من فرد (٢) وقال الشيخ رح في التفهيمات: هل أنت ملتمس لأي شئ خص رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة من أصحابه بالبشارة في حديث واحد وأى أمر جامع فيهم لا يوجد في غيرهم؟ فأقول: قرشي نجيب بنجابة نسبه بيضة الإسلام قديم الإسلام أقدم عليه حين أدبروا عنه، لم يزل ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثر سواد جيشه إلى أخر المشاهد وإلى أن علت كلمة الله وظهر أمر الله، فمجموع الثلاثة أمر يختص بهم لا يوجد في غيرهم، أما حمزة رضى الله عنه فمع نجابته وقدمه لم يبق حتى يشهد المشاهد إلى آخرها. وأما عباس رضى الله عنه فلم يكن قديم الإسلام، وأما عمار وبلال رضى الله عنهما فمع قدمهما وشهودهما المشاهد لم يحم الإسلام منهما نجابة (٣). (وفاطمة) بنت محمد صلى الله عليه وسلم (وخديجة) بنت خويلد أم فاطمة الزهراء، ولها فضائل عالية (وعائشة) بنت أبي بكر، وفي الترمذي عنها أن جبرئيل جاء

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) ١: ٢٢.
(٣) ٢: ١٧٢.

بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة (والحسن والحسين رضى الله عنهم) سيدا شباب أهل الجنة (ونوقرهم ونعترف بعظم محلهم في الإسلام).

أهل البـــدر:

(وكذلك أهل البدر) صحت البشارة بالجنة لأصحاب غزوة بدر وهم ثلاث مأة وثلاثة عشر. عن علي رضى الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، وفي رواية: فقد غفرت لكم، الحديث بطوله متفق عليه.

أهل بيعة الرضوان:

(وأهل بيعة الرضوان) وهم ألف وأربع مأة، سميت بيعة الرضوان لأن الله تعالى رضى عنهم، كما قال: "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" (سورة الفتح آية١٨).

الخلفاء الراشدون:

(وأبو بكر الصديق إمام حق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) هو أول الصحابة وأعلمهم وأتقاهم وأفضل البشر بعد الأنبياء بالتحقيق، ويكفي لمناقبه قوله عزوجل: "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا" (سورة التوبة آية ٤٠) (ثم عمر) وهو أحد السابقين الأولين وأحد المشهودين لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم، وفي حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوكان

بعدي نبي لكان عمر (١) (ثم عثمان) وهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد المشهودين لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وفي حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان (ثم علي رضي الله عنهم) أحد العشرة المشهودين لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة، وأحد السابقين إلى الإسلام، وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقضاهم علي.

ملك عضوض:

(ثم تمت الخلافة) على منهاج النبوة (وبعدها ملك عضوض) العضوض نعت، أي تصير الخلافة سلطنة ظالمة فشبه الظالم بالسباع، قال الشيخ ولي الله في حجة الله البالغة قال صلى الله عليه وسلم: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكاً عضوضاً، ثم كائن جبرية وعتواً وفساداً في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمور، يرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله، أقول: فالنبوة انقضت بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة التي لا سيف فيها بمقتل عثمان، والخلافة بشهادة علي كرم الله وجهه وخلع الحسن رضي الله عنه، والملك العضوض مشاجرات الصحابة بني أمية ومظالمهم إلى أن استقر أمر معاوية، والجبرية والعتو خلافة بني العباس، فإنهم مهدوها على رسوم كسرى وقيصر (٢).

---

(١) سنن الترمذي ٢: ٢٠٩.
(٢) حجة الله البالغة ٢: ١٩٠.

أبو بكر وعمر أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

(وأبو بكر رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عمر رضى الله عنه، ولا نعني الأفضلية من جميع الوجوه حتى تعم النسب والشجاعة والقوة والعلم وأمثالها، بل هي بمعنى عظم نفعه في الإسلام) قال المصنف رحمه الله في التفهيمات: أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى الفضل أن الله سبحانه لما تجلى في صدور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالإرشاد تجلي لا محالة بواسطة هذا التجلي في صدور الحواريين من أمته بإقامة الدين وتمشيته وأثر هذا التجلي جمع همته على نصرة المسلمين وكبت الكافرين، فالفضل بينهم إنما هو بحسب هذا المعنى لا غير، ونحن إذا عبرنا عن هذه الحكمة بلسان أهل العلم قلنا: قد ورد أن أفضل الناس من ينفع الناس، وأى نفع أتم من إشاعته الدين، والحق أن أمر الدين لا يتم إلا برجال من أهل الرأى مثلهم كمثل الوزراء، لا تتم السلطنة إلا بهم، وأولئك أفضل الأمة ومثل ذلك مثل الوزراء هم أفضل الجند وإن كان في الجند من هو أعلم منهم أو أكيس أو أنجب (١) (فأمير الأمة النبي صلى الله عليه وسلم ووزيراه أبوبكر وعمر رضى الله عنهما باعتبار الهمة البالغة في إشاعة الحق، فإن للنبي صلى الله عليه وسلم وجهين: وجه يأخذ عن الله تعالى، ووجه يعطي الخالق، ولهما في الإعطاء للخلق تأليفاً للناس وجمعاً لهم وتدبيراً للحرب يد طولى) قال الشيخ ولى الله رحمه الله في حجة الله البالغة: قد أجمع من يعتد به من الأمة على أن أفضل الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رضى الله

---

(١) التفهيمات ٢: ٧١٢.

عنهما، وذلك لأن أمر النبوة له جناحان، تلقي العلم عن الله تعالى، وبثه في الناس، أما التلقي عن الله فلا يشرك النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أحد، وأما بثه فإنما تحقق بسياسة وتأليف ونحو ذلك، ولا شك أن الشيخين رضى الله عنهما أكثر الأمة في هذه الأمور في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده(١).

نكف ألسنتنا عن ذكر الصحابة إلا بخير:

(ونكف ألسنتا عن ذكر الصحابة إلا بخير) لما ورد من الأحاديث الصحيحة في مناقبهم ووجوب الكف عن الطعن عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله الله في أصحابي! لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه (٢) (وهم أئمتنا وقادتنا في الدين، وسبهم حرام) لقوله عليه الصلاة والسلام: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٣) (وتعظيمهم واجب).

لا نكفر أحداً من أهل القبلة:

لا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القادر المختار أو عبادة غير الله أو إنكار المعاد والنبي وسائر ضروريات الدين) أهل القبلة في اصطلاح المتكلمين من يصدق بضروريات الدين، أى الأمور التي علم ثبوتها في الشرع واشتهر، فمن أنكر شيئاً من الضروريات كحدوث العالم، وحشر الأجساد،

---

(١) حجة الله البالغة ٢: ١٩٨.
(٢) رواه الترمذي٢: ٢٢٦.
(٣) رواه البخاري ومسلم

وعلم الله سبحانه بالجزئيات، وفرضية الصلاة والصوم، لم يكن من أهل القبلة، ولو كان مجاهداً في الطاعات، وكذلك من باشر شيئاً من أمارات التكذيب، كسجود الصنم، والإهانة بأمر شرعي والاستهزاء عليه، فليس من أهل القبلة، ومعنى عدم تكفير أهل القبلة أن لا يكفر بارتكاب المعاصي لا بإنكار الأمور الخفية غير المشهورة (١).

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

(والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب بشرط أن لا يؤدي إلى الفتنة وأن يظن قبوله) اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، دل على وجوبه الكتاب والسنة والإجماع. قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن الركن في الحسبة التي هى عبارة شاملة، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الإحتساب، ولكل واحد منها شروط (٢) وبسط الغزالي رحمه الله في هذا المبحث، من شاء التفصيل فليراجعه، وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين: إنكار المنكر أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة (فهذه عقيدتي أدين الله بها ظاهراً وباطناً والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

---

(١) النبراس ص ٥٧٢

(٢) إحياء علوم الدين (كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٢

فهرس